فجر الهدى والإيمان

أبو الطفيل

أطفال حول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم



إعداد الدكتور
محمد حسني مصطفى

مراجعة وتدقيق
أحمد عبد الله فرهود



منشورات

دار القلم العربي بحلب

الطبعه الأولى

١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٨ م

عنوان الدار

سُوريَة ـ حَلَبْ ـ خَلفَ الفُنْدُقِ السِّياحِي

شارع هدى الشِعْرَاويْ

هاتف | ٢١٣١٢٩ | ص.ب |٧٨| فاكس ٢١٢٣٦١، ٠٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

تعريفٌ مُجملٌ به

عامر بن واثلة[1] بن عبد الله بن عمرو اللّيثيّ الكنانيُّ القرشيُّ ، أبو الطُّفَيْل ، شاعرْ كنانة ، وأحد فرسانها ، ومن ذوي السيادة فيها . وُلِد يومَ وقعةِ أُحُدٍ ، وروى عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم تسعة أحاديث ، وحمل راية عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في بعض وقائعه ، وعاشَ إلى أيَّام معاوية رضي الله عنه ، وما بعدها ، وكتب إليه معاويه يلاطفه ، فوفد عليه إلى الشَّام .

ثم خرج على بني أميّة مع المختار الثقفي ، مطالباً بدم الحسين . ولما قتِل المختارْ انزوى عامرٌ إلى أنْ خرجَ ابن الأشعث ، فخرج معه .

وعاش بعد ذلك إلى أيام عمر بن عبد العزيز ، فتُوفّي بمكة .

وهو آخر منْ ماتَ من الصّحابه .

ولعبد العزيز بن يحيى الجلودي كتاب (أخبار أبي الطّفَيْل) في سيرته . وجمع الطيّب العشّاش التونسي أخباره وشِعره في ٣٧ صفحة نُشِرتْ في حوليات الجامعة التونسية العدد العاشر لسنة ١٩٧٣ .

---

[1] معنى واثلة : واصلة ، من وَثَلَ يَثِلُ وَثْلاً إذا وصل .

ترجمته من كتاب الاستيعاب

لابن عبد البرّ ٤ / ١١٥ :

(أبو الطفيل عامر بن واثلة الكنانيّ ، وقيل عمرو بن واثِلة ، والأول أكثر وأشهر . وهو عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمرو بن كنانة الليثي المكّيّ .

وُلِدَ عام أُحُدٍ ، وأدرك من حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثماني سنين ، نزل الكوفة ، وصحِب عليّاً رضي الله عنه في مشاهده كلّها ، فلمّا قُتل عليّ رضي الله عنه انصرفَ إلى مكة فأقام بها حتى مات سنة مائة .

ويقالُ إنَّه أقام بالكوفة ومات بها . والأوّل أصحّ . والله أعلم . ويقال إنّه آخر منْ مات ممن رأى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم . وروى حمّاد بن زيد عن سعيد الجريري عن أبي الطّفيل قال : ما على وجه الأرض رجلٌ اليوم رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم غيري .

قال أبو عمر : كان أبو الطّفيل شاعراً محسناً ، وهو القائل :

أيدعونني شيخاً وقد عشتُ حقبةً   وهنّ من الأزواج نحوي نوازع
وما شابَ رأسي من سنين تتابعتْ   عليَّ ، ولكنّ شيَّبتني الوقائعُ

وقد ذكره ابن أبي خيثمة في شعراء الصحابة . وكان فاضلاً عاقلاً حاضِر الجواب فصيحاً . وكان متشيِّعاً في عليّ رضي الله عنه ، ويفضّله ، ويُثني على الشّيخين أبي بكر وعمر ، ويترحَّم على عثمان رضي الله عنهم .

قدِمَ أبو الطفيل يوماً على معاوية . فقال له : كيف وجدُكَ[1] على خليلِك أبي الحسن ؟ قال : كوجْدِ أمّ موسى على موسى ، وأشكو إلى الله التقصير .

وقال له معاوية رضي الله عنه : كنتَ فيمنْ حصر عثمان رضي الله عنه ؟

قال : لا ، ولكنّي كنتُ فيمنْ حضره .

قال : فما منعك من نصره ؟

قال : وأنتَ ، فما منعك من نصره ، إذْ تربّصْتَ[2] به ريب المنون . وكنتَ مع أهل الشّام ، وكلّهم تابعٌ لك فيما تريد ؟

فقال له معاوية : أوما ترى طلبي لدمِهِ نصرةً له ؟

قال : بلى . ولكنّك كما قال أخو جُعْف :

فلا أُلْفِينّك بعدَ الموتِ تندبني وفي حياتي ما زوّدتَنِي زادًا[3]

نسبه مفصّلاً

قال أبو الفرج الأصبهاني :

هو عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمرو بن جابر بن حميس بن جُزَيّ بن سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مُدْركة بن إلياس بن مضر بن نزار .

---

(1) وجدك : حزنك .

(2) تربّصت : ارتقبت ، انتظرت .

(3) الأغاني (دار الثقافة) ١٥/١١٤

وله صحبةٌ برسول ا لله صلى ا لله عليــه وآلـه وسـلم ، ورواية عنـه ، وغُمِّر بعده عُمْراً طويلاً ، وكان مع أمير المؤمنين علــيّ بـن أبـي طـالب عليـه السَّلام ، وروى عنه أيضاً ، وكان مـن وجـوه شـيعته ، ولـه منـه محـلّ خـاصّ يُستغنى بشهرته عن ذكره ، ثـم خـرج طالبـاً بـدم الحسـين بـن علـيّ عليهمـا السلام مع المختار بن أبي عبيد ، وكان معه حتـى قُتِـل ، وأُفْلِـتَ هـو وغـمِّـر أيضاً بعد ذلك)[1] .

طرفٌ من حجَّة الوداع

عن أبي الطفيل رضـي ا لله عنـه أنـه رأى النـبي صلـى ا لله عليـه وآلـه وسـلم في حجّـة الـوداع يطـوف بـالبيت الحـرام علـى ناقتِـه ويسـتلمْ الرُّكـنَ بمحْجَنِهِ ، ثم يُقبِّلُ المِحْجَنَ[1] .

عليٌّ رضي الله عنه يُسْأَلُ ، فيُجيب

عن أبـي الطفيـل رضـي ا لله عنـه قـال : سمعـتُ عليَّـاً رضـي ا لله عنـه يخطب ، فقال : سلوني قبل أنْ تفقدوني .

فقام إليه ابن الكوّاء ، فقال : ما الذّارياتُ ذرْواً ؟

قال : الرِّياح .

قال : فالجّاريات يُسرا ؟

---

(1) الأغاني : (دار الثقافة) ١٥ / ١١٤ .

(2) المحجن : عصا معقوفة النهاية .

قال : السُّفن .

قال : فالحاملات وِقْراً ؟

قال : السَّحاب .

قال : فالمقسّمات أمراً ؟

قال : الملائكة .

قال : فما كان ذو القرنين : أنبيًّاً أم ملكاً ؟

قال : كان عبداً صالحاً أحبَّ الله وأحبَّهُ الله ، ضَرِبَ ضربةً على قرْنِهِ الأيمن فمات ، ثم بعث وضُربَ ضربةً على قرنه الأيسر فمات .

بشر بن مروان يستحسن قصيدة له

قال بشر بن مروان – وهو والٍ على العراق – لأنس بن زنيم : أنشدني أفضل شعر قالتْه كنانةْ . فأنشده قصيدة أبي الطفيل :

أيدعونني شيخاً وقد عشْتُ برهةً   وهنَّ من الأزواج نحوي نوازِغ

فقال له بشر : صدقْتَ ، هذا أشعر شعرائكم .

معاوية رضي الله عنه يروي قصيدة له

لّما استقام لمعاوية رضي الله عنه أمرْه قدِمَ عليه أبو الطفيل عامر بن واثلة ، فبينما هما آخذانِ في الحديث ، يتجاذبانِ أطرافَه ، دخل عمرو بن العاص رضي الله عنه ونفرٌ معه ، فقال لهم معاوية : أما تعرفون هذا ؟ هذا خليلُ أبي الحسن . ثم قال : يا أبا الطُّفيل ، ما بلغ من حبّك لعليّ ؟

قال : حبُّ أمّ موسى لموسى .

قال : فما بلغ من بكائك عليه ؟

نكبات قاتمة سوداء ، ويشير إلى عددهم فهم ثمانون ألفاً ، وإلى تأييد الله لهم ، فجبريل عليه السلام هو قائد ألويتهم ، وتكون نتيجة المعركة النصر على جيش أبي الطفيل ، إذْ يقعُ قسمٌ منه في الأسر ، ويُقتل القسم الآخر ، ويكون مصيره إلى النار ، حيث لا يكون شرابه فيها إلا صديد المحروقين فيها ، وهو ما يسيلُ منهم من عَرَق ودُهْن ذائب من أجسادهم .

إخراج ابن الحنفيَّة من سجن ابن الزبير

لما رجع محمد بن الحنفيّة من الشام حبسه ابن الزبير في سجن عارم ، فخرج إليه جيش من الكوفة عليهم أبو الطفيل عامر بن واثلة ، حتى أتوا سجن عارم ، فكسروه ، وأخرجوه ، فكتب ابن الزبير إلى أخيه مصعب أن يسيّر نساء كلِّ منْ خرج لذلك ، فأخرج مصعب نساءهم ، وفيهنّ أمّ الطفيل ، امرأة عامر بن واثلة ، وابنٌ له صغير يقال له يحيى ، فقال أبو الطفيل في ذلك :

إنْ يكُ سيَّرها مُصْعَبٌ ... فإنّي إلى مصعبٍ مذنبُ[1]
أقودُ الكتيبةَ مُسْتَلئِماً ... كأنّي أخو عُرَّةٍ أجربُ[2]
عليَّ دِلاصٌ تخيَّرتُها ... وفي الكفِّ ذو رونَقٍ مِقْضَبُ[3]

---

[1] الأبيات من المتقارب ، ويجوز فيه الخرم ، وهو أن تأتي التفعيلة الأولى من مطلع القصيدة على (عُولن) بدلاً من فعولن .

[2] مستلئم : عليه اللأمة ، وهي الدرع . عُرّة : جرب .

[3] دلاص : درع لينة ملساء . ذو رونق : سيف لمّاع . مقضب : قاطع.

يمدح ابني العباس رضي الله عنهم :

دخل عبد ا لله بن صفوان على عبد ا لله بن الزبير رضـي ا لله عنهـم ، وابن الزبير يومئذٍ بمكة ، فقال :

أصبحتَ كما قال الشاعر :

فإنْ تُصِبْكَ من الأيَّامِ جائِحةٌ لا أبْكِ منكَ على دنيا ولا دينِ[1]

قال : وما ذاك يا أعرج ؟

قال : هذا عبد ا لله بن عباس يفقّه النـاس ، وعُبيـد ا لله أخـوه يطعـم الناس ، فما بقيّا لك ؟

فأحفظَه ذلك ، فأرسل صاحب شرطته عبد ا لله بن مطيع ، فقال له : انطلق إلى ابنيْ عباس فقلْ لهما : أعَمَدْتما إلى رايـةٍ ترابيّـةٍ[2] قـد وضعهـا ا لله فنصبْتماهـا ؟ بـدِّدا عنِّي جمعَكمـا ومـنْ ضـوى[3] إليكمـا مـن ضـلاَّلِ أهـل العراق ، وإلاّ فعلتُ وفعلتْ .

فقال ابن عباس : قل لابن الزبير : يقول لك ابن عبّاس :

ثكلَتْك أمُّك ، وا لله ما يأتينا من الناس غير رجلين : طـالب فقـه ، أو طالب فضل ، فأيَّ هذين نمنع ؟

فأنشأ أبو الطفيل عامر بن واثلة يقول :

---

[1] جائحة : مصيبة .

[2] ترابية : نسبة إلى أبي تراب ، وهو سيّدنا عليّ رضي ا لله عنه .

[3] ضوى : انحاز .

لا درَّ درُّ الليالي كيف تُضحِكُنا   منها خطوبٌ أعاجيب وتُبكينا[1]
ومثلُ ما تُحدثُ الأيّام من غِيرٍ   يابنَ الزبير عن الدنيا تسلّينا[2]
كنّا نجيء ابن عباسٍ فيُقْبِسُنا   عِلماً ويكسِبُنا أجراً ويهدينا[3]
ولا يزالُ عبيدُ الله مُتْرعَةً   جفانُه مُطعِماً ضيفاً ومِسْكينا[4]
فالبرُّ والدّينُ والدّنيا بدارهما   ننالُ منها الذي نبغي إذا شينا[5]
إنّ النبيَّ هو النورُ الذي كُشفتْ   به عماياتُ باقينا وماضينا[6]
ورهْطُه عصْمةٌ في ديننا ولهمْ   فضلٌ علينا وحقٌّ واجبٌ فينا[7]
ولست -فاعلمهُ- أولى منهم رحِمًا   يابن الزبير ولا أولى به دينا[8]

---

[1] لا درّ درّ الليالي : أسلوب تعجّب سماعي ، يتعجب من تعاقب الخير والشر على الإنسان خلال حياته ، وتقلّبه بين العسر واليسر .

[2] الغير : صروف الدهر . في الدنيا يتعاور علينا شدّة ورخاء . ولا يدوم أحدهما

[3] عبد الله بن عباس رضي الله عنه . حَبْرُ الأمّة ، من كبار علماء الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

[4] عبيد الله أخو عبد الله من مشاهير عصره في الجود .

[5] نبغي : نريد . شينا : شئنا .

[6] عماية : ظلمة . ضلالة . برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وما أنزل عليه من نور مبين انزاحتْ عن الناس ظلمات الجاهليّة

[7] وآل النبي صلى الله عليه وآله وسلم منارةٌ للدّين . وعروةٌ لليقين ، وهم حقّ المحبة على المسلمين .

[8] وابن الزبير من قرابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، لأنّ الزبير ابن عمّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لكنه مع ذلك ليس يأتي في طليعة قرابته ، برأي الشاعر .

فـــفـيـــمَ تــمـــنعهمْ منّا وتمنعنا — منهم وتؤذيهم فينا وتؤذينـــــا [1]
لنْ يؤتِي اللهُ منْ أجرٍ ببغضِهِمْ — في الدينِ عزّاً ولا في الأرض تمكينا [2]

والأبيات محكمة الصوغ تنمّ على شاعرية متمكّنة ، ويستعير الإضحاك والإبكاء لليالي ، استعارة مكنية مشخّصة ، وينسب الإحداث للأيام ، وإنما تقع الحوادث فيها ، والمحدِث هو ربُّ الكون سبحانه ، ويسمّى ذلك مجازاً ذا علاقةٍ زمانية . ويجعل العلم نوراً يُقتبس ، على سبيل الاستعارة التصريحية ، ويكنّي كناية نسبة عن برّهما وورعهما وجودهما بقوله :

فالبرُّ والدّين والدّنيا بدارهما

ويشبّه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالنور ، فيشترك بذلك مع حسان في قوله :

إنَّ الرسولَ لنورٌ يُستضَاءُ به — مهنَّدٌ من سيوفِ الله مسلولْ

وقافيته سلسة عفوية . وعبارته متثالة منسابة ، وهو يقابل بين تمنعهم منّا . وتمنعنا منهم .

وفـــــاتــــه

دُعِي عامر بن واثلة إلى مأدبةٍ فغنّت فيها قِينةٌ بأبيات له يرثي فيها ولده طفيلاً ، يقول في تضاعيفها :

خلّى طفيلٌ عليَّ الهمَّ وانشعبا — وهدَّ ذلك رُكني هدَّةً عجبا [3]
وابنيْ سميّة لا أنساهما أبداً — فيمن نسِيتُ وكلٌّ كان لي وصَبا [4]

---

[1] ينكر أن يحجبهم ابن الزبير عن الناس ، ويعدّ ذلك ضرباً من الأذيّة ، لهم ، وحجْبا للخير عن الناس .

[2] ولن ينالَ مبغضهم عزة ، في الأرض ، ولا تمكيناً فيها .

[3] خلّى : ترك . انشعب : مات .

[4] وصب : ألم ، وجع .

فامْلِكْ عزاءكَ إنْ رزءٌ بُلِيتَ بـه فلنْ يردَّ بكاءُ الميتِ ما ذهبا[1]
وليسَ يشفي حزيناً منْ تذكّرهِ إلاّ البكـاء إذا مـا نـاح وانتحبـا
فإذْ سـلكتَ سبيلاً كنتَ سالكَها ولا محالـة أنْ يـأتي الـذي كُتِبـا
فمـا لفظتْكَ من ريٍّ ولا شِـبَعٍ ولا ظَلِلْتَ بما في العيش مرْتَغِبا

فلما سمع الشاعر أبياته بصوت المغنية جعل ينشج ، ويقول : هاه هاه ، طفيل ، ويبكي ، حتى سقط على وجهه ميّتاً . وكان ذلك سنة مائة للهجرة .

الاختلاف في مولده

قال حمّاد بن إسحاق : حدّثني أبي قال : حدثني أبو عبد ا لله الجمحي عن أبيه قال:

(1) يدعو نفسه إلى التجلد والتماسك ، صنْع أبي ذؤيب :

وتجلّدي للشّامتين أريهمُ أنّي لريب الدهر لا أتضعضع

ومع أنّ البكاء لا يعيد ميتا إلى حياته ، لكنه يعزّي ويسلّي النفس عن مصابها ، وابن الرومي يردد هذا المعنى فيما بعد في قوله يرثي ولده الأوسط ، مخاطباً عينيه :

بكاؤكما يشفي وإنْ كان لا يُجدي فجودا فقد أودى نظيرُكما عندي

وقال الشريف الرضي في رثاء أمه :

أبكيكِ لو نقعَ الغليلَ بكائي وأقول لو ذهبَ المقال بدائي
طوراً تكاثرني الدموع وتارةً آوي إلى أكْرومتي وحيائي

بينا[1] فتيةٌ من قريش ببطن محسِّر[2] يتذاكرون الأحاديث ويتناشدون الأشعار إذْ أقبل طُوَيْس وعليه قميص قُوهي[3] وحَبرةٌ[4] قد ارتدى بها ، وهو يَخطِرُ في مشيته ، فسلَّم ثم جلس . فقال له القوم : يا أبا عبد المنعم لو غنَّيْتنا . قال نعم ، وكرامةً ، أغنّيكم بشعر شيخ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من شيعة عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، وصاحب رايته ، أدرك الجاهلية والإسلام ، وكان سيّد قومه وشاعرهم .

قالوا : ومن ذاك يا أبا عبد المنعم فدتْكَ أنفسنا .

قال : ذلك أبو الطفيل عامر بن واثلة . ثم اندفع يغنّي :

أيدعونني شيخاً وقد عشتُ حقبةً وهنَّ من الأزواج نحوي نوازع

فطرب القوم وقالوا : ما سمعْنا قط غناء أحسن من هذا .

وهذا الخبر ينصّ على أنّه مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، خلافاً لمعظم من ترجموا له ، إذ ذكروا ولادته سنة ٣هـ .

خاتمة

لا بأس أن أقتضبَ في الخاتمة ما ورد عنه في تهذيب الكمال ، والإصابة ، وأسد الغابة ، فقد ذكرتْ أنّه عامر بن واثلة الليثي ، أبو الطفيل ، البكري ، ويقال : عمرو بن واثلة بن عبد الله بن عمرو بن كنانة ابن خزيمة الليثي المكيّ .

---

(1) بينا : بينما . (2) محسّر : اسم وادٍ قرب مكة المكرمة .

(3) قوهي : أبيض .

(4) حبرة : نوع من الثياب .

ولد عام أحدٍ ، وأدرك ثماني سنين من حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الحجّ ، ونزل الكوفة ، ثم أقام بمكة حتى مات .

روى عن : معاذ بن جبل في الصلاة ودلائل النبوة ، وعمر بن الخطّاب في الصلاة ، وابن عباس في الحج ، وحذيفة بن اليمان في الجهاد والنّفاق ، وعليّ في الضحايا ، وحذيفة بن أسيد الغفاري أبي سريحة في النذور والفتن ، وعبد الله بن مسعود قوله في القدر .

روى عنه : أبو الزبير ، والزهري ، والجويري ، وابن أبي حسين ، وعبد الملك بن سعيد ، وقتادة ، ومعروف بن خرّبوذ ، والوليد بن جميع ، ومنصور بن حيّان ، والقسم بن أبي برّة ، وعمرو بن دينار ، وكلثوم بن حبيب ، وفرات القزّاز ، وعبد العزيز بن رفيع .